هو أسلوب تأملى عقلى شامل لكل ظواهر الوجود وهو تفسير منطقى	هو أسلوب تجريبى حسى يهتم بالظاهرة وحدها والقانون الذى يحكمها للاستفادة منه فى السيطرة عليها .
مثال : الفيلسوف إذا أراد تفسير ظاهرة البرق والرعد فهو يربطها بالوجود كله فهو يبحث عن العلل البعيدة التى تتحكم فى كل ظواهر الوجود .	**مثال :** العالم يفسر ظاهرة البرق بتقابل الموجات الكهربية مع بعضها فى الجو فينتج عن ذلك صوت هو الرعد أو ضوء وهو البرق

٢- معنى الفلسفة

الفلسفة لغويا مشتقة من الأصل اليوناني : فيلوصوفيا filosofia ، وهي كلمة مكونة من شقين فيلوس بمعنى حب (أو صداقة) وصوفيا بمعنى حكمة وهكذا تكون الفلسفة هي محبة الحكمة و يقال أن أول من صاغ العبارة هو فيتاغورس لكن المرجح عندنا أن سقراط هو من صاغ الكلمة، لما عرف على فيتاغورس من تعظيم للذات يتنافى مع وصف محب الحكمة، و ما يؤكد قولنا هذا ما قاله سقراط في محاورة فيدروس متحدثا عن الأدباء والخطباء والمشرعين المعاصرين له:

" لا يمكنني أن أسميهم حكماء، لأن هذا الإسم اسم عظيم يخص الله فقط، إن لقبهم الملائم و المعتدل هو محبو الحكمة أو فلاسفة" .

لكن هذا التعريف اللغوي لا يساعدنا في تحديد معنى الفلسفة خصوصا إذا علمنا أن الفلاسفة العرب كانوا يضعون الحكمة والحكيم مكان الفلسفة والفلاسفة وأن الحكيم

عندهم على إطلاقه هو أرسطو فنجد مثلا ان ابن رشد يقول ' الحكمة هي صاحبة الشريعة و أختها الرضيعة ' وهو يقصد بالحكمة الفلسفة طبعا، لكن ما نستفيده من هذا الاشتقاق اللغوي هو أن جوهر الفلسفة ليس امتلاك المعرفة بل حب المعرفة والبحث عنها إن الفلسفة، كما يقول سليم دولة، معناها أن يكون الانسان بسبيله إلى الحقيقة.

و هكذا فالاشتقاق اللغوي يضيء جانبا من الفلسفة أو بالأحرى يضيء جانبا من جوانبها، و لكنه غير كاف لإضاءة دلالتها، فيبقى السؤال "ما الفلسفة ؟" قائما. عند البحث في الكتب والموسوعات الفلسفية تلاحظ أن الدلالات والتعاريف كثيرة ومتنوعة وقد ينفي بعضها بعضا مما يعرقل مسيرة البحث عن تعريف جامع للفلسفة ومن التعريفات التي صادفتها نجد أن الفلسفة : " تفكير في التفكير" وهو تعريف يغطي فرعا من الفلسفة و ليس كل الفلسفة، و الفلسفة كما يقول شيشرون هي "فن الحياة"، و من تعريفات أرسطو أن الفلسفة هي المعرفة العقلية و العلم بالمعنى الأعم، كما نجد مقولة ديكارت الشهيرة الفلسفة كلها بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء و غصونها المتفرعة من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى، لكن إذا كانت هذه هي صورة الفلسفة قديما فإن مجالها أصبح يضيق مع تقدم العلوم و انفصالها عنها، و يقول هربرت سبنسر أنها المعرفة التامة التوحيد، نجد كذلك أن الفلسفة ضرب من التأمل المنظم المرتبط بالتجربة الذاتية للفرد، و على العكس من ذلك تجد من يقول أن الفلسفة ليست تأملا و لا تفكيرا و لا تواصلا بل هي إبداع المفاهيم، كما يقول دولوز و غثاري في كتابهما "ما الفلسفة ؟".

وهكذا نلاحظ أن التعاريف تختلف باختلاف الفلاسفة، ذلك لأن كل تعريف للفلسفة يفترض فلسفة ما. فلو أخذنا أفلاطون كمثال لوجدناه يقول أن الفلسفة هي معرفةالمُثُل أوالكلّيات الخالدة الكامنة وراء ظواهر الأشياء. ففلسفة أفلاطون تقوم على التمييز بين عالم المثل وعالم الأشياء و الكائنات، الأول عالم علوي مثالي و أزلي و الثاني عالم سفلي، مادي و فان، و لكل شيء في عالمنا المحسوس توجد صورة مثالية ومطلقة في عالم المثل، فالأحصنة مثلا كثيرة ومتنوعة في عالمنا وكل هذا التنوع والتعدد صادر عن صورة واحدة كاملة هي " مثال الحصان" و بما أن هذه الصور غير محسوسة فغاية الفيلسوف هي السعي لمعرفتها بواسطة العقل، للتعرف بشكل أكبر على أفلاطون يمكنك زيارة مقال عنه بالضغط على أفلاطون، هدفنا هنا يقتصر على إيضاح أن كل تعريف للفلسفة يعكس فلسفة صاحبه، و كمثال آخر يمكن أن نأخذ ابن رشد الذي يقول أن " فعل التفلسف ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات و اعتبارها من جهة دلالتها على الصانع" فالفلسفة عنده هي أعمال العقل في الموجودات للإستدلال على الخالق، و هذه المقولة تعكس بشكل واضح انشغال بن رشد بتبيان انعدام التعارض بين الحكمة و الشريعة أو بين الفلسفة و الدين.

وهذا يؤكد، مرة أخرى، ما سبق وقلناه من كون كل تعريف للفلسفة يعكس أو يفترض فلسفة ما وهذا بسبب كون الفلسفة خاضعة للزمان و المكان فهي ليست متعالية عن التاريخ والفلاسفة كغيرهم يتأثرون وينفعلون بالمجتمع، لذلك يجب أن نتخلص من تلك النظرة الخارجية للفلسفة التي تقوم على فصل الفلاسفة عن ظروفهم، وأزمنتهم وعلى السعي وراء جمع حشد من تعاريف الفلسفةتُجتث من مذاهبها بصورة جزافية، إن سؤال ما الفلسفة بألف و لام التعريف يفترض العثور على تعريف جامع مانع للفلسفة و هذا يوقعنا في وثوقية القول الواحد والإيمان بالرأي الوحيد مما يخالف طبيعة الفلسفة التي أشرنا إليها في البداية، ولا يمكن التخلص من هذه الإشكالية كما يقول سليم دولة في كتابه "ما الفلسفة؟" إلا بتجريده من ألف ولام التعريف فنتخلص من وهم البحث عن سراب تعريف ماهوي للفلسفة، تعريف شامل للفكر الفلسفي، وبذلك نقتنع أن كل تعريف لا يكون إلا نسبيا ينطبق على فلسفة فيلسوف بعينه.

من أجل الوصول الى معنى الفلسفة لابد من ذكر أقرب تعريف للواقع :

جاءت كلمة الفلسفة من عبارة «فيلاسوفوس»أَي محبّ الحكمة ، وهو اسم اختاره سقراط لنفسه؛ وقد نقل مورّخو الفلسفة أن السبب في اختيار هذا الاسم شيئان : أحدهما : تواضع سقراط حيث كان يعترف دائماً بجهله ، والثاني : تعريضه بالسوفسطائيين الذين كانوا يعدُّون أنفسهم حكماء ؛ أي إنه باختيار هذا اللقب أراد أن يوحي لهم ، بأنكم لستم أهلاً لهذا الاسم «الحكيم» ؛ لأنكم تستخدمون التعليم والتعلم لأهداف مادية وسياسية ، وحتى أنا الذي استطعت ردَّ تخيلاتكم بأدلة محكمة ، لا أرى نفسي أهلاً لهذا اللقب ، وإنما أطلق على نفسي اِسم «محبّ الحكمة».

وفي العهد الإغريقي القديم ومنذ أن سَمّى سقراط نفسه بهذا الاسم ، صارت الفلسفة قديماً تستعمل في مقابل السفسطة المنكرة بأساليب مغالطاتها لحقائق الأشياء ، كما إنها صارت شاملة لجميع العلوم الحقيقية كالفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والهيئة ، والرياضيات والإلهيات؛ وأما العلوم الاعتبارية كالنحو و الصرف فهي خارجة عن حيز الفلسفة(١)وبناءً على ما تقدم فإن الفلسفة قديماً كانت اسماً عاماً وشاملاً لقسمين رئيسيين من العلوم ، النظرية والعملية ، وبذلك فإن الفلسفة تنقسم إلى فلسفة نظرية ، وتشمل تحت عنوانها ما ينبغي أن يعلم من المعارف كالرياضيات والطبيعيات والإلهيات. وإلى فلسفة عملية ، وتشمل تحت عنوانها ما ينبغي أن يُعمل به من المعارف كالأخلاق وتدبير المنزل والسياسة.

---

(١) تختلف العلوم الاعتبارية عن العلوم الحقيقية في أن العلوم الاعتبارية لا واقع لها سوى ما اتفق عليه المتفقون واعتبره المعتبرون ، كما لو اتفق النحاة في لغة العرب أن يكون الفاعل مرفوعاً والمفعول به منصوباً . فلا وجود لأمثال هذه الأحكام في الواقع غير ما اتفق عليه المتفقون واعتبره المعتبرون وعلى خلاف ذلك ، حال العلوم الحقيقية ، فإنها تكشف عن حقائق ثابتة سواء علم الإنسان بها أم لم يعلم؛ فالجاذبية كانت موجودة ولها واقع ثابت ولم يكن لنيوتن من دور ، سوى الكشف عنها.

ولا بد لنا من المرور بأشهر التعريفات التي عرفت بها الفلسفة وهي :

التعريف الأول :

{ هى علم المعرفة الكلية المطلوبة لذاتها }

الفلسفة ليست علم جزئى مثل بقية العلوم وا ٍنما هى علم العلوم لأنها تدرس الحقيقة الكلية للموجودات عامة .

و الفلسفة تهتم بكل ما يثيره العقل من مشاكل كلية تنصب على الوجود كله فى صورته العقلية الشاملة

مثل : طبيعة الوجود وماهية الإنسان وغيرها من المشكلات ذات الطابع العقلي الكلى **لذلك تعتبر الفلسفة علم المعرفة الكلية .**

و الفيلسوف عند دراسته للحقائق الكلية المتفرقة للوجود فإنه

يجمعها مع بعضها – ويجردها من ماديتها – ثم يربطها فى تسلسل منطقى ليكون منها مذهب فلسفي خاص به يفسر من خلاله مختلف ظواهر الوجود تفسير عقلي متناسق .

التعريف الثانى :

{ هى علم المبادئ الأولى ظواهر الوجود. }

فإن هدف الفيلسوف إدراك **المبادئ الأولى والعلل البعيدة** لأنها بطبيعتها عقلية مجردة وهو يستخدم التأمل العقلي

و لا يقتنع بقبول العلل القريبة . لأنها مادية تحتاج إلى الحواس والمنهج التجريبي

مثال : أن الفيلسوف لا يكتفي بمعرفة أن السبب المباشر لنمو النبات هو توافر الماء والهواء والشمس باعتبار ها العلل القريبة لنمو النبات ولكنه يريد أن يرتقى إلى أعلى من ذلك ليعرف نمو كل الكائنات الحية الأخرى .

التعريف الثالث :

{ هى وجهة نظر عقلية تجاه موقف ما أو ظاهرة معينة فى حياة الإنسان }

ووجهة النظر هذه عادة ما تكون نابعة من خبرات الفرد وظروف حياته وقد تؤثر فى سلوك صاحبها إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

مثال : قد يتناول فيلسوف **ظاهرة الخير والشر عند الإنسان** ٠ ويفسرها حسبوجهة نظر ه مدعما ر أيه بالأدلة العقلية الممكنة ثم يأتي فيلسوف آخر ويفسرها بطريقة أخرىوأيضا يدعم ر أيه بالأدلة العقلية فكل منهما تأثر بخبرات حياته الخاصة وظروف مجتمعة ٠

وإليك مخططاً بيانياً للفلسفة وأقسامها المتفرعة عنها :

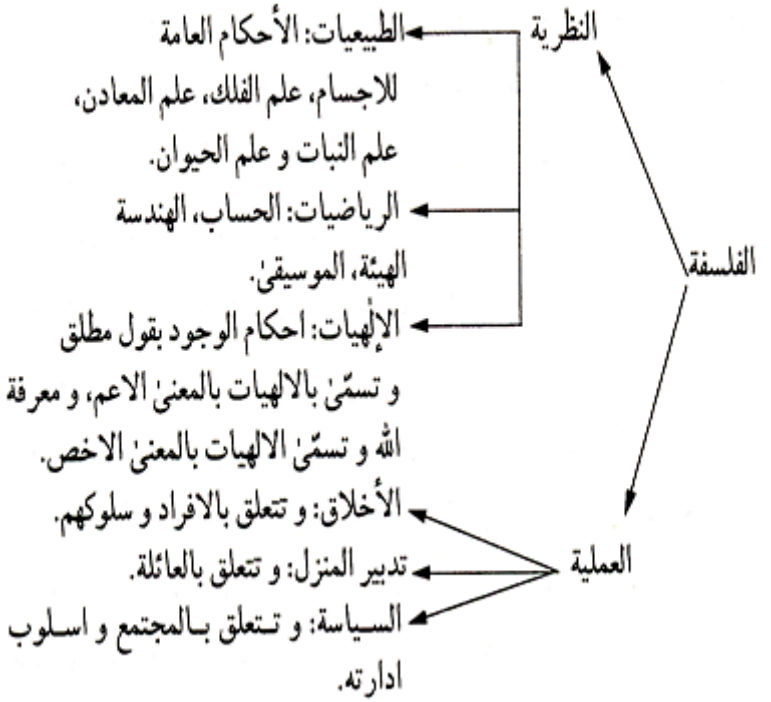

بَيْدَ أن الفيلسوف لم يتمكن من مواكبة تطور العلوم واتساع رقعتها واستيعاب مسائلها وفروعها ، فبعث ذلك على انحسار دوره وتقلص نشاطه في حدود بحث الإلهيات بالمعنى الأعم والأخص وتسمى بالعلم الكلي والفلسفة الأولى[1] ؛ والأعم منها يبحث عن أحكام الموجودات بشكل عام ولا يختص بموجود دون آخر بينما تتناول الإلهيات بالمعنى الأخص إثبات وجود الله الأقدس وصفاته جل وعلا.

موضوع الفلسفة :

وبذلك يتضح أن موضوع علم الفلسفة هو : «الموجود بما هو موجود» ، أي أنها تتناول دراسة الموجود بشكل عام ، لتحدد أحكامه بغض النظر عن خصوصياته. فمثلاً :إن البحث عن العلّة والمعلول لا يختص بموجود دون غيره ، بل هو شامل لكل موجود؛ بينما البحث عن تركيب الماء ودرجة انجماده وغليانه وبقية خواصه ،

([1])والوجه في تميتها بهذا الاسم ، هو أنها تُعدّ في مقدمة كل العلوم؛ إذ أنها تبحث عن وجود الله الأقدس وصفاته الحسنى ، كما أنها تقوم بإثبات موضوعات العلوم ، فما لم يثبت في الفلسفة الوجود المادي الخارج عن حدود الذهن لا يتسنى للفيزيائي أن يبحث عن خواص الأجسام ، ولا للكيمياوي أن يبحث عن طبيعة تفاعلات العناصر وهكذا. بل إن جميع العلوم مدينة إلى الفلسفة في مبادئها التصديقية ، كمبدأ عدم التناقض وأصل العلية وقاعدة الانسجام ، وهي من مباحث ومسائل الفلسفة ، ومن أجل ما تقدم يكون للفلسفة ، شرف التقدم على بقية العلوم ، ولا نبالغ إن قلنا أنها أم العلوم.

بحث عن الموجود بما هو ما له وجوده الخاص. وأما الإلهيات بالمعنى الأخص فإنها تبحث عن وجود الله تعالى وصفاته وتختص به ولا تبحث عما سواها.

ودراسة الموجود بشكل عام التي تتناول الموجودات مجردها وماديها ، يُطلق عليها اسم «الميتافيزيقا» وقد تصور البعض خطأ ، أنها تختص بالموجودات المجردة غير المادية ، إلا أن الصحيح شمولها للموجودات المادية والمجردة على حد سواء. فالبحث عن العلة والمعلول ، والوجوب والإمكان ، والحادث والقديم ، والقوة والفعل وما شابهها لا يختص بالموجودات المجردة غير المادية بل يشملهما معاً .
ومن الجدير ذكره أن الميتافيزيقا مأخوذة من أصل يوناني هو متاتافوسيكا أي ما بعد الطبيعة وحوِّرت بالعربية إلى (ميتافيزيقا) وحسبما يعتقده مؤرخو الفلسفة ، فإن هذه الكلمة استعملت لأول مرة في قسم من فلسفة أرسطو المتناولة لأحكام الوجود بشكل عام ، وحيث أن هذا القسم من بحث الفلسفة قد كتبه أرسطو حسب ترتيبه بعد بحث الطبيعيات ، لذلك فقد أطلق عليه اسم ميتافيزيقا ، أي ما بعد الطبيعة.

والفكر الفلسفي الذي أثارته وأفرزته تساؤلات الإنسان عن الكون والحياة ، والمبدأ والمعاد ، كان أحد المحاور الفكرية التي استقطب اهتمام البشر من لدن آدم ولحدِّ الآن ، ودفعه صوب التأمل والنظر ، ومن ثم نحو الإبداع والابتكار في هذا المجال ، وقد كان لحكماء الفرس واليونان قصب السبق في ذلك على بقية الأمم وكان ذلك قبل الميلاد بعدة قرون حيث طفحت على سطح مناظراتهم وتأملاتهم الفلسفية العديد من الآراء والنظريات ، التي كان يسودها الاتزان تارة والتهافت والتضارب تارة أخرى ، وفي ذات الوقت النمو والثراء بفعل التلاقح الفكري الحر الذي وفّرَ أجواء خصبة لذلك.

٣- التمييز بين الفكر والفلسفة

في البدء لابد من طرح التساؤلات التالية : ١-متى بدأ التفكير الإنساني؟ وبماذا يختلف الإنسان عن الحيوان في تغيير وتطوير محيطه الذي يعيش فيه؟ و٢- ما هو الباعث من وراء نشوء الفكر الفلسفي؟ ومن كان من بين الحكماء له قصب السبق في ذلك؟ ومتى؟ تراود الإنسان أحياناً وقد تلاحقه تساؤلات حول الوجود ومعناه؛ وهل هو متناه محدود أو مطلق لا محدود؟ وكيف وجد وهل هو في غنى عن علةٍ توجده أو مفتقر إليها؟ وهل لله خالق أو هو في غنى عن كل خالق؟ ولماذا لا يُرى الله جهرة؟!

ومن جهة أخرى فإن الإنسان ، هذا الموجود العملاق الذي حَلَّق في آفاق السماء ونفذ إلى أعماق الأرض وقعر المحيطات وفلق الذرة وابتكر العجيب والغريب ، تراه